

القرينة السياقية في توجيه الدلالة في الحوار القرآني : حوار موسى عليه السلام والعبد
الصالح أنموذجاً

نعيم ضמיד عليوي

naemdh@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية

الملخص:

يتناول البحث فاعلية القرائن السياقية في توجيه الدلالة في الحوار القرآني، متخذاً من حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف أنموذجاً للكشف عن أثر تفاعل القرائن اللغوية والحوارية والمقامية في بناء المعنى وترجيح وجهته. واعتمد البحث المنهج التحليلي، منطلقاً من تأصيل مفهوم القرينة السياقية وتحديد إجراءاتها، ثم تحليل المواقف الحوارية بوصفها وحدات دلالية مترابطة. وكشفت التحليل أن توجيه الدلالة يتأثر بالمجال القريني والمعرفي المتاح للمتلقي، وأن الخطاب السابق قد يتحول إلى مرجعية سياقية فاعلة في توجيه ما يليه، وأن فاعلية القرائن تتفاوت تبعاً لتطور المقام، كما أظهر أن أثر السياق يتجاوز تعيين دلالة الأقوال والأفعال إلى تنظيم العلاقة الحوارية ومسارها. وخلص البحث إلى أن بناء الدلالة في الحوار عملية تراكمية متحركة، تتشكل فيها قيمة عناصر الخطاب من تفاعلها داخل السياق، لا من دلالاتها منفردة.

الكلمات المفتاحية : القرائن السياقية ، توجيه الدلالة ، السياق، الحوار القرآني.

Contextual Cues in Guiding Meaning in Qur'anic Dialogue: The Dialogue
between Moses and the Righteous Servant as a Case Study

Naeem Dhmaid Oleiwi

Almustansiriyah University, College of Education, Dept. of Arabic Language

Abstract

This study examines the role of contextual cues in guiding meaning in Qur'anic dialogue, taking the dialogue between Moses and the Righteous Servant in Surat al-Kahf as a case study to explore how linguistic, dialogic, and situational cues interact in constructing meaning and determining its direction. It adopts an analytical approach, beginning with a theoretical grounding and an operational definition of contextual cues, followed by an analysis of the dialogic situations as interconnected semantic units. The analysis reveals that meaning is shaped by the contextual and epistemic information available to the recipient, that prior discourse may function as an active contextual frame of reference for subsequent discourse, and that the force of contextual cues varies as the communicative situation unfolds. It further demonstrates that context extends beyond determining the meanings of utterances and actions to regulating the dialogic relationship and its progression. The study concludes that meaning construction in dialogue is a dynamic, cumulative process in which discourse elements derive their semantic value from their interaction within context rather than from their meanings in isolation.

Keywords: Contextual Cues; Meaning Guidance; Context; Qur'anic Dialogue.

المقدمة:

لا تتشكل الدلالة في الخطاب بمعزل عن العلاقات التي تنتظم عناصره؛ فاللفظ أو التركيب لا يستنفذ قيمته بما يحمله منفرداً، وإنما تتحدد وجهته كذلك بما يتصل به من سابق الخطاب ولحقه، وبالمقام الذي يرد فيه، وبالعلاقة بين أطرافه وما يتاح لهم من معطيات. ومن هنا تكتسب القرينة السياقية فاعليتها، لا بمجرد حضورها في الخطاب؛ بل بما تؤديه من وظيفة في تعيين المعنى، أو ترجيح أحد وجوهه، أو إعادة توجيهه في ضوء انتظام السياق.

وتغدو هذه الفاعلية أكثر ظهوراً في الحوار؛ لأن المعنى فيه لا ينتج من أقوال منفصلة، وإنما يتشكل في مسار تتعاقب مراحلها وتتبادل عناصره التأثير؛ فقد يهيئ السابق لفهم اللاحق، مثلما قد يعيد اللاحق توجيه ما سبقه، وتظل بعض الأقوال محتقظة بفاعليتها بعد انقضاء مقام إنشائها. ويهيئ الحوار القرآني مجاًلاً مناسباً للكشف عن هذه العلاقات؛ لما يقوم عليه من اتصال بين القول والمقام وحركة التخاطب، بما يسمح بتتبع أثر القرائن في بناء الدلالة وهي تتشكل داخل مسارها الحوارية.

ومن هذا المنطلق اختير حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف مدونةً للدراسة؛ لما يقوم عليه من مواقف مترابطة تبدأ بإنشاء الصحبة وتحديد شروطها، ثم تتوالى فيها الوقائع والأقوال ضمن نظام حوارية واحد. وتتيح هذه البنية تتبع القرائن في أثناء تشكلها وانتقال أثرها بين المواقف، والكشف عن الصلات التي تجعل كل موقف متصلاً بما سبقه وما يلحقه. ويستعمل البحث وصف "العبد الصالح" للإشارة إلى العبد المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف: 65]، تجنباً للدخول في الخلاف المتعلق بتعيينه؛ إذ لا يتصل ذلك بموضوع الدراسة وغايتها.

وتتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الكيفية التي تسهم بها القرائن السياقية من خلال تفاعلها داخل الموقف الحوارية، في توجيه الدلالة؛ إذ لا يكفي الوقوف عند الدلالة المفردة للفظ أو التركيب لتفسير حركة المعنى في الحوار، ما دامت قيمة العنصر تتأثر بموقعه من الخطاب وبما يحيط به من قرائن لغوية وحوارية ومقامية. ومن هنا يتجه البحث إلى تقصي كيفية عمل هذه القرائن، وما ينشأ عن تفاعلها من تعيين للمعنى أو ترجيح لوجهته أو إعادة توجيهه، ومدى امتداد أثرها في تنظيم مسار العلاقة الحوارية.

ويسعى البحث إلى تحديد مفهوم إجرائي للقرينة السياقية يتلاءم مع طبيعة المدونة، والكشف عن القرائن الفاعلة في حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح، وتحليل العلاقات التي تنشأ بينها داخل المواقف المتتابعة، وبيان أثرها في توجيه الدلالة. كما يتجه إلى تقصي أثر ما يتيح السياق لأطراف الخطاب من معطيات في بناء الفهم، وتتبع استمرار فاعلية بعض القرائن وانتقال أثرها بين مراحل الحوار.

وتتبع أهمية البحث من النظر إلى القرينة السياقية بوصفها عنصراً وظيفياً داخل شبكة من العلاقات، لا مجرد مصاحب يستعان به في تفسير معنى جزئي؛ ومن ثم يتجه التحليل إلى رصد القرينة في حال عملها داخل الخطاب، وتتبع ما ينشأ عن تفاعلها مع غيرها من أثر في بناء الدلالة وتوجيهها.

واعتمد البحث المنهج التحليلي؛ فبدأ بتأصيل مفهوم القرينة السياقية وتحديد إجرائياً، ثم انتقل إلى تحليل الحوار من داخل بنيته النصية، متخذاً الموقف الحوارية وحدةً للتحليل، لا الآلية منفردة ولا القرينة معزولة عن محيطها. واقتصر استقراء القرائن على ما يستمد من النظام الداخلي للخطاب، سواء أكان لغوياً أم حوارياً أم مقامياً، من غير التوسع في القرائن الخارجية إلا بقدر ما يكون لها مستند من النص أو يقتضيها سياقه المباشر؛ حفاظاً على اتصال التحليل بمدونته وعدم تحميل الخطاب معطيات لا يوفرها بناؤه الداخلي.

وانتظم البحث في مبحثين: فخصص الأول للتأصيل النظري للقرينة السياقية، بدءاً من الأصل اللغوي لمفهوم القرينة والسياق، وانتهاءً بالمفهوم الإجرائي المعتمد في الدراسة؛ أما المبحث الثاني فخصص لتحليل القرائن السياقية في حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح، من تأسيس العلاقة الحوارية وشروطها، مروراً بالمواقف التي اختبرت تلك الشروط وتفاعلت فيها القرائن، وصولاً إلى المرحلة التي انتهت عندها الصحبة، ثم أعقبت ذلك نتائج البحث وخاتمته.

المبحث الأول: التأصيل النظري للقرينة السياقية

أولاً: المعنى اللغوي للقرينة

يُعد الوقوف على الأصل اللغوي للمصطلح مدخلاً لازماً إلى ضبط مفهومه في الدراسات الدلالية؛ إذ لا تتفصل الدلالة الاصطلاحية، في الغالب، عن النواة الدلالية التي انبنت عليها في أصل الوضع، وإن اتسعت وظائفها وتخصصت مجالات استعمالها. ومن هذا المنطلق يقتضي تحرير مفهوم القرينة الرجوع إلى مادة (ق ر ن) في المعاجم العربية؛ للكشف عن الأصل الذي تنتظم حوله دلالاتها المختلفة.

ويكشف استقراء المادة عن محور دلالي جامع قوامه ارتباط الشيء بغيره ومصاحبه له؛ فمنه الجمع والضم والوصل والمقارنة والاقتران والقرين والقران، وهي استعمالات تتعدد صورها مع بقائها مشدودة إلى أصل واحد يتمثل في قيام علاقة بين طرفين يكتسب أحدهما، في مقام الاقتران، صلة بالآخر. ولا يقدح في هذا الأصل ما أثبتته بعض المعاجم من دلالات أخرى للمادة؛ كالقرن بمعنى النتوء أو القوة، إذ تمثل تلك الدلالات مساراً آخر للجذر، في حين أن المفهوم العلمي للقرينة إنما اتصل بمعنى الاقتران والمصاحبة [ينظر: (الفرايدي، د.ت، الصفحات 140-143)، (ابن دريد، 1987م، الصفحات ج/2: 793-795)، (الجوهري، 1987م، صفحة ج/6: 2176)، (ابن فارس، 1972م، صفحة مادة (ق ر ن) ج/5: 76)، (الأزهري، 2001م، الصفحات ج/9: 84-90)، (ابن منظور، 1414هـ، صفحة مادة (ق ر ن))].

ومن هذا الأصل يمكن تفسير انتقال اللفظ إلى المجال الاصطلاحي؛ فالقرينة لا تستمد قيمتها من وجودها منفردة، وإنما من اقترانها بلفظ أو تركيب أو خطاب، وما ينشأ عن ذلك الاقتران من أثر في الدلالة. ومن ثم ظل معنى الارتباط حاضراً في المفهوم الاصطلاحي، غير أنه انتقل من مجرد المصاحبة إلى المصاحبة ذات الوظيفة الدلالية؛ إذ يصبح العنصر المقترن بالخطاب معيناً على تعيين المراد، أو ترجيح أحد وجوه المعنى، أو دفع ما يلبسه من احتمال. وهو انتقال يحفظ للأصل اللغوي نواته، ويعيد توظيفها في مجال تحليل الدلالة.

ثانياً: التأصيل اللغوي لمادة (س و ق):

وإذا كان مفهوم القرينة يقوم في أصله على الاقتران، فإن وصفها بالسياقية يقتضي الوقوف على الأصل الدلالي لمادة (س و ق)؛ لأن تحديد طبيعة السياق هو الذي يكشف المجال الذي تعمل القرينة داخله، والعلاقات التي تستمد منها فاعليتها. وتدل استعمالات المادة في أصلها على سوق الشيء وقيادته في مسار تتصل أجزاؤه ويتلو بعضها بعضاً، ثم اتسعت هذه الدلالة من المجال الحسي إلى ما يقوم على التتابع والانتظام من الأقوال والأحداث. وعلى اختلاف صور الاستعمال، يبقى الاتصال بين العناصر وانتظامها في مسار جامع من أبرز ما يصل بينها؛ فليست العبرة بالحركة أو التعاقب في ذاتهما، وإنما بما ينشأ عنهما من اتصال يجعل السابق ذا صلة باللاحق، ويمنح الجزء موقعه داخل الكل [ينظر: (الجوهري، 1987م، الصفحات ج/4: 1498-1500)، (ابن فارس، 1972م، صفحة مادة (س و ق) ج/3: 117)، (ابن سيده، 2000م، الصفحات ج/6: 523-528)، (الزبيدي، 2001م، الصفحات ج/25: 470-484)، (مجمع اللغة العربية، 1972م، الصفحات ج/1: 464-465)].

ومن هنا أمكن انتقال المادة إلى الدلالة المجردة؛ إذ غدا السياق دالاً على انتظام وحدات الكلام أو الأحداث في بنية مترابطة، تتحدد فيها قيمة العنصر بما يقيمه من علاقات مع ما يسبقه وما يلحقه. وبذلك لا يكون السياق مجرد تتابع خطي للوحدات، وإنما نظاماً للعلاقات يكشف عن كيفية انتظامها وتفاعلها في إنتاج المعنى.

ويفضي الجمع بين الأصلين إلى أساس أولي لمفهوم القرينة السياقية: فإذا كانت (ق ر ن) تحيل إلى الارتباط والمصاحبة، وكانت (س و ق) تحيل إلى الانتظام والاتصال داخل مسار، فإن القرينة السياقية لا تكون مجرد عنصر يصاحب الخطاب، وإنما عنصراً مقترناً به داخل نظام من العلاقات يستمد منه قدرته على التأثير في الدلالة.

ثالثاً: تشكّل مفهوم القرينة السياقية في ضوء التأصيل اللغوي

لا يقوم مفهوم القرينة السياقية، في ضوء ما تقدم، على الجمع الآلي بين مدلولي القرينة والسياق، وإنما يتشكل من تفاعل الأصلين في بناء وظيفة دلالية واحدة؛ فالاقتران يثبت صلة العنصر بما يصاحبه، والسياق يحدد النظام الذي تعمل فيه تلك الصلة والوجه الذي

تكتسب منه فاعليتها. ومن ثم لا تكفي مصاحبة العنصر للخطاب ليكون قرينة، كما لا يكفي وقوعه ضمن سلسلة من الأقوال أو الأحداث، وإنما تتحقق قرينته حين يصبح اقتترانه بالسياق ذا أثر في توجيه الفهم ينظر: (مغمولي، 2022، صفحة 1184). وعلى هذا الأساس تتحدد قيمة القرينة بالعلاقات التي تقيمها مع مكونات الخطاب؛ فقد يستمد العنصر فاعليته من قول سابق يهيئ لفهم اللاحق، أو من قول لاحق يعيد توجيه السابق، أو من مقام التخاطب، أو من العلاقة بين المتكلم والمخاطب، أو من تعاقب الأحداث وما ينشأ بينها من اتصال. ولذلك لا تعمل القرينة السياقية بوصفها وحدة مستقلة يمكن فصلها عن محيطها، وإنما بوصفها عنصرًا فاعلاً داخل شبكة من العلاقات اللغوية والحوارية والمقامية التي تتساند في بناء الدلالة وتوجيهها [ينظر: (تمام حسن، 2006م، صفحة 207)].

ويكشف ذلك عن فارق منهجي بين وجود العنصر في السياق وعمله قرينةً سياقية؛ فالأول وصف لموقعه، أما الثاني فوصف لوظيفته [ينظر: (ثاني و البكري، 2025، صفحة 446)]. ومن ثم لا تهض الدراسة على جمع العناصر المصاحبة للخطاب، وإنما على الكشف عن العناصر التي يثبت التحليل أن علاقتها بسائر مكونات السياق أسهمت في تعيين المعنى أو توجيهه أو إعادة توجيهه [ينظر: (مرهون و عماري، 2023م، صفحة 824)]. وبذلك ينتقل مفهوم القرينة من المصاحبة الشكلية إلى الاقتتران المؤثر داخل نسق دلالي مترابط، وهو الأساس الذي تنطلق منه الدراسة في تحليل حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح⁽¹⁾.

رابعاً: المفهوم الإجرائي للقرينة السياقية في الدراسة:

بناءً على التأصيل السابق، تعتمد الدراسة مفهوماً إجرائياً للقرينة السياقية ينسجم مع طبيعة مدونتها وغايتها التحليلية، ويقصد بها: كل معطى مستفاد من البنية الداخلية للخطاب، يكتسب من علاقته بسائر مكوناتها وظيفة دلالية تسهم في تعيين المعنى المراد، أو ترجيح أحد وجوهه المحتملة، أو دفع ما يلابسه من لبس أو احتمال، أو إعادة توجيه الدلالة بما يقتضيه انتظام السياق [ينظر: (خالد و الأنوني، 2024م، صفحة 89)].

ويترتب على هذا التعريف أن قيمة القرينة لا تثبت بمجرد حضورها في النص، وإنما بما يؤديه تفاعلها مع غيرها من وظيفة يمكن رصد أثرها في بناء الدلالة أو توجيهها ينظر: (العنكي، 2023، صفحة 199). كما يحدد التعريف مجال الدراسة بالقرائن المستنبطة من النظام الداخلي للحوار القرآني، سواء استمدت من البنية اللغوية، أم من انتظام الأدوار والعلاقات الحوارية، أم من المقام الذي يجري فيه التخاطب [ينظر: (السعران، 1997م، الصفحات 252-253)]؛ فلا تتوسع الدراسة في القرائن الخارجية إلا بقدر ما يكون لها مستند من النص أو يقتضيه سياقه المباشر. وهذا القيد هو الذي يحفظ للتحليل اتصاله بمدونته، ويحول دون تحميل الخطاب معطيات لا يوفرها بناؤه الداخلي.

وبذلك لا تُدرس القرينة في هذا البحث بوصفها علامة معزولة، ولا يُنظر إلى السياق بوصفه إطاراً خارجياً يحتضن الخطاب فحسب، وإنما يُنظر إليهما في علاقة وظيفية متبادلة: السياق يمنح العنصر إمكان فاعليته القرينية، والقرينة تكشف من داخل هذا السياق عن الوجه الذي تتجه إليه الدلالة. ومن هذا التصور ينتقل البحث إلى الجانب التطبيقي، حيث تُختبر فاعلية هذه القرائن داخل المواقف الحوارية نفسها، لا في ألفاظ منفصلة عن النظام الذي أنتج دلالتها.

المبحث الثاني

تحليل القرائن السياقية في حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح

يقوم هذا المبحث على دراسة حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح بوصفه وحدة دلالية متكاملة، تُستقرأ قرائنها من داخل بنيتها النصية، بعيداً عن تجزئة الآيات أو عزلها عن سياقها العام؛ إذ لا تتكشف فاعلية القرينة السياقية إلا من خلال العلاقات التي تنشأ بين عناصر الخطاب، وما يترتب على تفاعلها من بناء المعنى وتوجيهه. وانطلاقاً من ذلك، قُيِّم الحوار إلى مواقف متتابعة يمثل كل منها وحدة دلالية لها بناؤها الخاص، مع بقائها متصلة بالبناء الكلي الذي تنتظم فيه حركة الحوار.

(1) يستعمل البحث وصف "العبد الصالح" للإشارة إلى العبد المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف: 65]، تجنباً للدخول في الخلاف المتعلق بتعيينه، إذ لا يتصل ذلك بموضوع الدراسة وغايتها.

ولا يستهدف التحليل الوقوف عند الظواهر النحوية أو البلاغية لذاتها، ولا إعادة عرض المعاني التفسيرية للآيات، وإنما يتجه إلى الكشف عن الكيفية التي تعمل بها القرائن اللغوية والحوارية والمقامية في توجيه الدلالة، وما ينشأ عن تفاعلها من ترجيح معنى، أو إعادة بناء دلالة، أو تحويل وجهة الخطاب. ومن ثم لا تكون وحدة التحليل الآية منفردة، ولا القرينة معزولة، وإنما الموقف الحواري بما تنتظم فيه من قرائن متضاربة تتفاعل في إنتاج الدلالة وتوجيه مسارها.

ولا يعني تفاعل هذه الأنواع من القرائن تساويها في درجة الفاعلية في كل موقف؛ فقد برز أثر القرينة المقامية في توجيه فهم موسى عليه السلام للأحداث المشاهدة، في حين أسهمت القرائن اللغوية في تحديد وجهة الخطاب وتدعيم دلالاته، ولا سيما من خلال بعض الألفاظ والتراكيب التي اكتسبت فاعليتها من انتظامها في السياق الحواري.

الموقف الأول: قرينة الطلب وبناء عقد الحوار:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 66-70].

ينفرد هذا الموقف عن المواقف اللاحقة بأن موضوعه لا يتمثل في فعل خارجي يختلف الطرفان في توجيه دلالاته، وإنما في إنشاء العلاقة الحوارية نفسها وتحديد النظام الذي ستجري في إطاره. ولذلك لا يؤدي المقطع وظيفته افتتاحية زمنية فحسب؛ بل يؤسس المرجعية الداخلية التي ستظل فاعلة في المواقف التالية؛ فما سيقع بعد ذلك من سؤال أو اعتراض أو استجابة لن ينشأ في فراغ، وإنما سيقرأ في ضوء النظام الذي أنشئ هنا.

وتبدأ هذه العلاقة بمبادرة موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، وهي صيغة لا تقرر وقوع الاتباع، وإنما تطلب الإذن بإنشائه؛ فموسى عليه السلام لا يقدم نفسه تابعاً بالفعل، بل طالباً للدخول في علاقة يكون فيها الاتباع سبيلاً إلى التعلم. ويؤكد اختيار ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ أن المقصود ليس مجرد المصاحبة المكانية، وإنما علاقة تقوم على اقتفاء المتبوع والالتزام بما تقتضيه صحبته. ومن ثم أنشأت المبادرة الأولى مجالاً تعليمياً محدد الطرفين والغاية، لكنها لم تحسم بعد شروط قيامه.

ولهذا لم يأت جواب العبد الصالح قبولاً مباشراً أو رفضاً، وإنما نقل الطلب من الرغبة في الاتباع إلى القدرة على الوفاء بمقتضياته: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾. وبذلك تغير مركز الخطاب؛ فلم يعد السؤال: هل تقع الصحبة؟ بل: هل يستطيع طالبها أن يلتزم بما تقتضيه؟ وهنا يبرز الصبر بوصفه شرطاً حاكماً للعلاقة قبل وقوع الأحداث التي ستختبره.

ويأتي جواب موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ استجابةً لهذا التحول؛ فهو لا يكرر طلب الاتباع، وإنما يحوله إلى تعهد يقابل به ما أثاره العبد الصالح من إشكال القدرة على الصبر. ثم ينتقل العبد الصالح من تقويم الاستعداد إلى تنظيم الممارسة بقوله: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، وبذلك يتحول الشرط من مجرد توجيه سابق إلى ضابط حوار يَنْظِمُ السلوك الكلامي أثناء الصحبة.

وعلى هذا ينتظم الموقف في حركة حوارية متدرجة:

طلب الاتباع ← تقويم القدرة ← إعلان الالتزام ← تقرير الشرط المنظم

ولا يمثل هذا التعاقب مجرد تناوب بين متكلمين؛ بل يكشف عن بناء دلالي تتولد فيه كل مرحلة من سابقتها وتعيد توجيهها؛ فالعبد الصالح لم يكتفِ بالاستجابة للطلب، وموسى عليه السلام لم يكرر طلبه، والعبد الصالح لم يكتفِ بقبول التعهد، وإنما انتقل كل قول

بالحوار إلى مستوى جديد. وبذلك أصبح الموقف الأول عقدًا حواريًا مؤسسًا لا تنتهي فاعليته بانتهاء التلفظ به، بل يظل مرجعًا تستعاد سلطته كلما اقتضت المواقف اللاحقة الاحتكام إلى شروط الصحة .

الموقف الثاني : قرائن اختبار الصبر في ضوء التعارض بين الظاهر والمآل:

أسس الموقف الأول النظام الذي ستتظم في إطاره العلاقة بين موسى عليه السلام والعبد الصالح، ومع الانتقال إلى الوقائع العملية تبدأ شروط ذلك النظام في ممارسة فاعليتها داخل الحوار. ومن هنا لا تعود الأحداث مجرد وقائع سردية، وإنما تصبح مجالًا تتفاعل فيه القرائن المقامية واللغوية مع المرجعية الحوارية السابقة، ويتشكل من هذا التفاعل اختلاف توجيه الدلالة بين طرفي الخطاب .

تشكل دلالة الخرق في ضوء المقام:

يفتح قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ أول اختبار عملي للنظام الذي أنشئ في الموقف السابق. وليس ترتيب العناصر هنا مجرد تعاقب سردي؛ إذ يهيئ السياق للفعل قبل وقوعه، فيحدد زمنه ومجاله ومحل أثره: رحلة انتهت إلى ركوب، وركوب تحقق في سفينة، ثم وقع الخرق في الوسيلة التي تحمل طرفي الموقف.

فالخرق في أصله يدل على إحداث شق أو ثقب، غير أن وقوعه في السفينة يفعل من إمكاناته الدلالية ما يتصل بالإضرار بالبنية وتعريض وظيفتها للاختلال؛ لأن سلامة السفينة شرط في أداء وظيفتها. ويزداد هذا الأثر قوة بكون موسى عليه السلام والعبد الصالح داخلها عند وقوع الفعل، فلا يتعلق الحدث بشيء منفصل عن أطراف الموقف، وإنما بالحيز المادي الذي يحملهم. ومن ثم انتقل الخرق من دلالاته المعجمية العامة إلى دلالة مقامية مخصوصة، من غير أن يكشف السياق في هذه المرحلة عن الغرض الذي صدر عنه الفعل [ينظر: (ثاني و البكري، 2025، صفحة 448)].

وهذا الفصل بين الفعل المشاهد والغرض المحبوب ضروري لفهم ما سيأتي؛ إذ لم يكن أمام موسى عليه السلام إلا ما أتاحة المقام: خرق وقع في سفينة تحمل ركابها، أما الحكمة التي ستعيد تفسيره لاحقًا فلم تكن داخلية بعد في مجال المعرفة المتاحة له. ومن هنا ينبغي التمييز بين دلالة الفعل التي بناها المقام، والمآل الذي سيستنبطه موسى عليه السلام منه .

من إدراك الحدث إلى بناء مآله:

ينقل قول موسى عليه السلام: ﴿أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا﴾ بالدلالة من إدراك الواقعة إلى تفسير مآلها. فالاستفهام لا يطلب التحقق من وقوع الخرق، لأن وقوعه مشاهد، وإنما يتجه إلى مساءلة الفعل بعد أن أعاد موسى عليه السلام بناء علاقته بما يمكن أن يترتب عليه. وتكشف اللام في ﴿لِتُغْرَقَ﴾ عن هذه النقلة؛ إذ تربط الخرق بمآل استنتجه موسى عليه السلام من ظاهر المشهد، فتحول الفعل من واقعة حسية إلى بنية دلالية مركبة تضم الحدث ونتيجته المفترضة .

ولا يعني ذلك أن الإغراق كان غاية الفعل في ذاته، وإنما يعني أن القرائن التي كانت متاحة لموسى عليه السلام في تلك اللحظة جعلت هذا التوجيه منسجمًا مع ظاهر المقام. وهنا تتجلى وظيفة أساسية للسياق: فهو لا يقدم للمتلقي حقيقة الحدث دفعة واحدة، وإنما يتيح له قدرًا من المعطيات يبني على أساسه فهمه في مرحلة معينة. ومن ثم لا يكون تغير الدلالة لاحقًا ناشئًا بالضرورة عن تغير الحدث نفسه؛ بل عن اتساع المجال القريني وانكشاف معطيات لم تكن متاحة عند بناء الفهم الأول .

ومن هذه الزاوية يمكن تفسير اختلاف موقف طرفي الحوار من الفعل الواحد دون إخراج التحليل إلى المجال العقدي أو التفسيري؛ فموسى عليه السلام يبني حكمه على المعطيات الظاهرة المتاحة له زمن وقوع الحدث، في حين يصدر العبد الصالح عن معرفة بأبعاد لم تكن داخلية آنذاك في المجال الإدراكي لموسى عليه السلام. ولذلك لا ينشأ التباين في توجيه الدلالة من اختلاف الواقعة، بل من اختلاف مقدار القرائن والمعطيات المتاحة لكل طرف. وتكشف هذه العلاقة أن فاعلية القرينة ليست منفصلة عن موقع المتلقي المعرفي؛ إذ لا يتحدد معنى الحدث بما ينطوي عليه من حقيقة فحسب، وإنما كذلك بما كشف السياق من تلك الحقيقة في لحظة التلقي.

استدعاء المرجعية السابقة وإعادة توجيه الاعتراض:

لا يجيب العبد الصالح عن اعتراض موسى عليه السلام بتفسير الخرق أو نفي المآل الذي استنبطه منه، وإنما يقول: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. وهنا تنتقل وظيفة السياق من الإسهام في بناء تفسير الحدث إلى إعادة تنظيم جهة الحوار نفسه؛ فموسى عليه السلام أحال على الواقعة الحاضرة، في حين أعاد العبد الصالح الخطاب إلى المرجعية التي سبقتها وحكمت شروط تلقيها [ينظر: (مغمولي، 2022، صفحة 1185)].

ولا يفيد الاستفهام في ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ طلب الإقرار بقول معلوم للطرفين، وإنما يستدعي ذلك القول ويعيد تفعيله بوصفه مرجعاً حاكماً للموقف الجديد. وبذلك لا يبقى الخطاب السابق أثراً زمنياً انقضى، بل يحتفظ بفاعليته الدلالية ويكتسب وظيفة جديدة عند استدعائه؛ فقد ورد أولاً في مقام تقويم القدرة على الصبر، ثم عاد في مقام الاعتراض ليصبح معياراً يُقرأ في ضوءه موقف موسى عليه السلام من الحدث .

وهنا تظهر الملاحظة التي تكتسب أهمية خاصة في بناء الدلالة: لم يتجه جواب العبد الصالح إلى نقض المسوّغ الذي بنى عليه موسى عليه السلام اعتراضه في ضوء ظاهر الحدث؛ فلم ينف في تلك اللحظة العلاقة التي أقامها موسى عليه السلام بين الخرق والإغراق، ولم يقدم تفسيراً بديلاً للفعل، وإنما نقل مركز الخطاب إلى الالتزام بشرط الصبر. ولا يقتضي ذلك أن العبد الصالح أقر صراحة بصحة تفسير موسى عليه السلام، وإنما يدل على أن محل المعالجة في جوابه لم يكن صحة الاستدلال على ظاهر الواقعة، بل صدور الاعتراض في ظل المرجعية الحوارية السابقة. وهذا التفريق يحفظ لكل من المستويين وظيفته: ظاهر الحدث هو الذي أسس اعتراض موسى عليه السلام، والشرط السابق هو الذي وجّه جواب العبد الصالح.

وعليه، فإن عدم تفسير العبد الصالح للحدث ليس فراغاً في الاستجابة، بل جزء من بنائها الدلالي؛ لأن الجواب غيّر موضوعه من سبب الفعل إلى موقع الاعتراض من شروط الصحة. ومن هنا لم تعد ملازمة الاستجابة تقاس بمقدار ما تجيب به عن مضمون السؤال المباشر، وإنما بمقدار ما تستجيب للنظام الذي يحكم حق السؤال وزمن البيان. وهكذا لم يعمل السياق بعد صدور جواب العبد الصالح على تفسيره فحسب، بل أسهم ابتداءً في اختيار نمطه الاستجابي وتحديد الجهة التي ينبغي أن يتوجه إليها .

ويتأكد أثر هذه المرجعية في جواب موسى عليه السلام: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾؛ إذ لم يعد إلى مناقشة الخرق، ولم يطالب بتفسيره، وإنما انتقل إلى معالجة أثر مخالفته في استمرار الصحة. فـ ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي﴾ تقتض المرجعية التي تستند إليها المؤاخذه ولا تنقضها، و﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ تعيد توصيف كيفية وقوع المخالفة، ثم يوجه ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ الخطاب نحو أثرها في مستقبل العلاقة. وبذلك انتقلت الدلالة من الحدث إلى الاعتراض، ومن الاعتراض إلى تنظيم أثره، وهو ما يثبت استمرار فاعلية المرجعية المؤسسة عبر امتداد الحوار .

الترجيح السياقي بين القرائن:

يتضح في الواقعة التالية أن توجيه الدلالة لا يستقر دائماً لقرينة واحدة؛ فمشاهدة موسى عليه السلام فعل القتل دفعت القرينة المقامية إلى الواجهة، في حين بقي شرط تعليق السؤال حاضراً في الخلفية الحوارية. ولم يؤد هذا التفاعل إلى إلغاء إحدى القرينتين، وإنما إلى تقدم إحداها بحسب مقتضى اللحظة؛ فغلبت قرينة المشاهدة عند بناء موسى عليه السلام حكمه، ثم استعادت المرجعية السابقة فاعليتها في جواب العبد الصالح.

ويكشف قوله تعالى: ﴿أَفْتَلَتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ عن تدرج الحكم من الاستفهام الإنكاري إلى تقوية مقتضاه بالقرائن اللفظية؛ فـ ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ توجه الدلالة، في ظاهر المقام، نحو انتفاء ما يبرر الفعل، ويعزز ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ هذا الاتجاه، حتى ينتهي التراكم إلى الحكم: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾. فالحكم لم يتولد من لفظة منفردة، وإنما كان محصلة لتساند القرائن في بناء وجهة دلالية واحدة .

غير أن جواب العبد الصالح: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يعيد المرجعية الحوارية إلى مركز التوجيه. ولا يمثل هذا تكراراً للجواب السابق؛ إذ جاءت زيادة ﴿لَكَ﴾ لتخصيص جهة الإلزام وربط الخطاب بالمخاطب ربطاً أوثق في ضوء تكرار المخالفة. وهكذا تتبادل القرائن موقع الصدارة داخل السياق: المقام يوجه موسى عليه السلام إلى الحكم على ظاهر الفعل، ثم يعيد الخطاب السابق توجيه النظر من الفعل إلى مدى التزام المتلقي بشرط الصحة .

إعادة بناء الشرط وأثره في تنظيم العلاقة الحوارية:

لا ينحصر أثر السياق في توجيه دلالة الألفاظ والتراكيب، بل يتجاوزها إلى إعادة تنظيم العلاقة بين المتحاورين كلما أفضى تطور المقام إلى مراجعة حدودها. وفي هذا الإطار يندرج قول موسى عليه السلام: ﴿إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾؛ إذ جاء بعد المخالفة الثانية بصيغة مغايرة لجوابه السابق، فلم يتضمن تعليلًا بالنسيان ولا التماسًا لرفع المؤاخذه، وإنما أنشأ التزامًا جديدًا يعيد ضبط العلاقة في ضوء ما راكمه الحوار من شروط وتنبهات .

وقد اكتسبت البنية الشرطية دلالتها من موقعها في مسار الحوار، لا من صورتها النحوية مجردة؛ فالشرط الذي صدر عن العبد الصالح في ابتداء الصلحة كان قيدًا لقبولها وتنظيم مسارها: ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، أما الشرط الذي أنشأه موسى عليه السلام هنا فقد صدر بعد قيام الصلحة، فتحوّلت وظيفته من تأسيس العلاقة إلى تنظيم استمرارها. ولم يبقَ موسى عليه السلام متلقيًا للشرط، بل ألزم نفسه بقيد أشد ومنح صاحبه حق المفارقة إن عاد إلى السؤال. ومن ثم لم يكن قوله: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ طلبًا لإنهاء الصلحة في الحال، لأن الجزاء لم يترتب على المخالفة الواقعة، وإنما عُلقَ على سؤال مستقبل، فظل استمرارها قائمًا وأصبح انتهؤها مرهونًا بتحقيق الشرط الجديد .

ويتأكد ذلك بقوله: ﴿بَعْدَهَا﴾؛ فاللفظة لا تُعَيَّن زمن السؤال فحسب، وإنما تحدد النقطة التي يبدأ منها نفاذ الالتزام الجديد. فقد فصلت بين مخالفة استوعبها السياق، وأخرى محتملة يترتب عليها انتهاء الصلحة، فأخرجت ما مضى من دائرة الجزاء المباشر، ونقلت أثر الشرط إلى المستقبل. وبذلك غدت ﴿بَعْدَهَا﴾ قرينة منظمة للشرط، تفصل بين مرحلتين: مرحلة بقيت فيها المخالفة قابلة للتجاوز، وأخرى لا يبقى بعدها مجال لاستمرار الصلحة إذا تكرر السؤال .

ثم يأتي قوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ليقيد الجانب المقابل من العلاقة؛ فكما حددت ﴿بَعْدَهَا﴾ ابتداء المرحلة الجديدة، حدد هذا التركيب الحد الذي يبلغ عنده الاعتذار مده. فـ ﴿بَلَغْتَ﴾ تحمل معنى الوصول، و ﴿قَدْ﴾ تقرر تحقق ذلك الوصول، أما ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ فتخصص جهة العذر وتربطه بالمتكلم، بما يفيد أن المجال الذي يمكن أن يصدر عنه فيه اعتذار أو تبرير قد استوفى مده. ومع ذلك لم يستلزم استنفاد الاعتذار إنهاء الصلحة فورًا؛ لأن الشرط نفسه أبقى المفارقة معلقة على المستقبل، فاجتمع في الخطاب تضيق مجال العذر مع إبقاء مجال الصلحة .

ويكشف استمرار الرحلة بعد ذلك عن أثر الخطاب في المخاطب؛ إذ لم يعقب العبد الصالح بإنهاء الصلحة، ولم يعترض على الشرط الذي أنشأه موسى عليه السلام ، وإنما انتقل السياق إلى الحدث التالي. ويحمل هذا الاستمرار قيمة دلالية؛ لأنه يمثل استجابة عملية للخطاب السابق، ويبين أن المخالفة الثانية لم تفعل الانقطاع، بل أدرجت ضمن نظام حوار جديد أشد ضبطًا. وهكذا تآزرت البنية الشرطية وقرينة ﴿بَعْدَهَا﴾ وتخصيص العذر بـ ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ في إعادة تحديد حدود العلاقة: استمرت الصلحة، وضاق مجال المخالفة، واستنفد مجال الاعتذار عند تحقق الشرط .

القرائن المقامية واللفظية وأثرها في توجيه الدلالة الحوارية

لا تتحدد دلالة خطاب موسى عليه السلام في هذا الموضع بمجرد بنيته اللفظية، وإنما تتشكل في ضوء المقام الذي أفضى إلى إنشائه؛ إذ لم يرد قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ منفصلًا عن سياقه، بل جاء عقب بناء مقامي تدرج في تصوير الحاجة، ثم الامتناع عن إغاثتها، ثم مقابلة ذلك بالإحسان المجرد، فانتظمت هذه الوقائع في نسق واحد لم يقصد به مجرد نقل الحدث، وإنما تكوين الإطار السياقي الذي تولد عنه الخطاب وأصبح المرجع الذي تُفهم في ضوءه دلالاته .

ولم يكن ترتيب الوقائع ترتيبًا خبريًا محضًا، بل ترتيبًا دلاليًا تتساند عناصره في إنتاج المعنى؛ فقد ابتدأ السياق بالاستطعام إيمانًا بقيام الحاجة، ثم أعقبه بالإباء عن الضيافة، قبل أن يختم بإقامة الجدار لمن امتنعوا عن إكرام الضيفين. ومن ثم لم تعد إقامة الجدار واقعة منفردة استدعت خطاب موسى عليه السلام ، وإنما غدت الحلقة الأخيرة في سياق متصل، واكتسب قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ دلالاته من اجتماع هذه القرائن، لا من الفعل الأخير وحده .

وانعكس أثر المقام على البنية اللغوية للخطاب؛ فقد عدل موسى عليه السلام عن أسلوب المواجهة الذي ظهر في قوله: ﴿أَخْرَفْتَهَا﴾ و﴿أَقْتَلْتُ﴾، وصدر كلامه هذه المرة بـ ﴿لَوْ شِئْتَ﴾، فجعل اتخاذ الأجر معلقًا على مشيئة العبد الصالح، وأبقى له سلطة الاختيار. ومن ثم لا يمثل هذا العدول تنوعًا تعبيريًا فحسب، وإنما تحوّلًا في طبيعة الخطاب من مساءلة الفعل إلى اقتراح وجه آخر

للتصرف. ويبدو هذا التحول متصلًا بما راكمه السياق السابق من خبرة حوارية؛ إذ أصبح موسى عليه السلام أكثر إدراكًا لأثر السؤال في استمرار الصلابة، فجاء خطابه أقرب إلى عرض احتمال يملكه المخاطب منه إلى الاعتراض الصريح على فعله .

غير أن تغير أسلوب الخطاب لم يغير منط الحکم عند العبد الصالح؛ إذ لم يتلق الكلام من جهة ما اشتمل عليه من لين أو تعليق على المشيئة، وإنما رده إلى الالتزام الذي أنشأه موسى عليه السلام بقوله: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾. فالعبرة لم تكن بكيفية السؤال، وإنما بوقوعه؛ لأن ﴿شَيْءٍ﴾ جاءت عامة، فلم يخرج من مقتضاها السؤال لمجرد تغير صورته أو انخفاض درجة الاعتراض فيه .

ولهذا جاء جواب العبد الصالح: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ منسجمًا مع البناء الذي تدرج السياق في تشييده. ولم يصغ الجواب بالفعل الدال على إنشاء المفارقة، وإنما بالمصدر ﴿فِرَاقٌ﴾ الذي يصورها حالة استقرت بعد اكتمال أسبابها، فكأن الفراق لم يعد فعليًا ينشأ في لحظة الخطاب، بل نتيجة انتهى إليها مسار الحوار. كما أسهم اسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ في استحضار تلك النتيجة وربطها بمجمل السياق السابق، فلا ينحصر مرجعه الدلالي في السؤال الأخير بمعزل عما تقدمه، وإنما يتصل بالمسار الذي انتهى إلى تحقق الشرط الذي ألزم به موسى عليه السلام نفسه. ومن ثم لم يكن جواب العبد الصالح إنشاء لقرار منفصل عن سابقه، بل تقريرًا للأثر الذي انتهى إليه الالتزام السابق؛ وبذلك تجاوزت الصياغة الختامية مجرد الإخبار بانتهاء الصلابة إلى تجسيد اكتمال المسار الحوارية، وإظهار أن النتيجة لم تنشأ من عبارة مفردة، وإنما من تفاعل القرائن المقامية واللفظية والحوارية التي ظلت توجه الدلالة منذ تأسيس العلاقة حتى انتهائها .

النتائج:

- أفضت الدراسة، في ضوء تحليل فاعلية القرائن السياقية في حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح، إلى النتائج الآتية:
1. كشفت الدراسة أن فاعلية القرينة السياقية لا تتحقق بمجرد حضورها في الخطاب، وإنما تتحدد بالوظيفة التي تؤديها داخل شبكة العلاقات التي تربط القول بالمقام وبالخطاب السابق واللاحق؛ إذ أسهم انتظام هذه العلاقات في توجيه الدلالة وترجيح وجهتها، كما ظهر منذ تأسيس الصلابة حين تحولت شروطها المنشأة في الموقف الأول إلى مرجعية فاعلة في المواقف التالية.
 2. أظهر التحليل أن توجيه الدلالة يتأثر بالمدال القريني والمعرفي المتاح للمتلقى لحظة الخطاب؛ فقد بنى موسى عليه السلام فهمه لخرق السفينة وقتل الغلام على المعطيات الظاهرة التي أتاحها المقام، في حين لم تكن الأبعاد المفسرة للفعل داخلة في مجال معرفته آنذاك، فكان اختلاف التوجيه نتيجة لاختلاف المعطيات المتاحة، لا لاختلاف الواقعة في ذاتها.
 3. أثبتت الدراسة أن الخطاب السابق قد يتجاوز زمن إنشائه ليغدو مرجعية سياقية حاكمة لما يليه، وأن فاعليته لا تقتصر على توجيه المعنى، بل تمتد إلى تحديد نمط الاستجابة؛ فقد استُعيد شرط الصبر في المواقف اللاحقة، فتحول من شرط مؤسس للصلابة إلى معيار يُقاس في ضوئه موقف موسى عليه السلام من الأحداث، ثم أسهم في توجيه الاستجابة إلى أثر المخالفة في استمرار الصلابة.
 4. كشف التحليل أن القرائن اللغوية والحوارية والمقامية لا تتساوى في درجة الفاعلية في جميع مراحل الحوار، وإنما يتقدم بعضها بحسب مقتضى الموقف، مع بقاء القرائن الأخرى حاضرة في بنية السياق؛ فقد برزت القرينة المقامية في توجيه فهم موسى عليه السلام للأحداث المشاهدة، وأسهمت القرائن اللغوية في تحديد وجهة الخطاب وتدعيم دلالاته، في حين استعادت المرجعية الحوارية السابقة فاعليتها في توجيه الاستجابة عند تطور الموقف.
 5. كشفت الدراسة أن فاعلية القرائن السياقية تتجاوز توجيه دلالة الأقوال والأفعال إلى تنظيم العلاقة الحوارية نفسها؛ فقد أسهمت في تأسيس شروط الصلابة، ثم ضبط استمرارها، وتحديد مجال المخالفة والاعتذار، وانتهت إلى تحديد الحد الذي تنقطع عنده العلاقة، فجاء الفراق نتيجة لمسار حوارية تفاعلت فيه القرائن والالتزامات المترابطة.

الخاتمة:

كشف تحليل حوار موسى عليه السلام والعبد الصالح أن توجيه الدلالة لا يتحدد باللفظ أو الحدث منفردًا، وإنما يتشكل من العلاقات التي تنتظم عناصر الخطاب داخل مساره الحواري. وأظهر التطبيق أن فاعلية القرينة تتحدد بموقعها في هذا المسار وبالمعطيات المتاحة للمتلقي في لحظة الخطاب؛ ومن ثم تتفاوت القرائن في درجة تأثيرها، وتتقدم إحداها في موقف، ثم تستعيد أخرى فاعليتها مع تغير المقام.

كما تجلت خصوصية الحوار المدروس في بقاء بعض القرائن فاعلة بعد انتهاء مقام إنشائها، ولا سيما المرجعية التي تأسست مع عقد الصلبة؛ إذ انتقلت من تنظيم العلاقة في بدايتها إلى توجيه الاستجابة في مراحلها اللاحقة. وبذلك لم يكن اختلاف توجيه الدلالة ناشئًا عن اختلاف الوقائع في ذاتها، وإنما عن اتساع المجال القريني وانكشاف معطيات جديدة، فضلاً عن إعادة ترتيب العلاقات التي تحكم مسار الحوار.

وانتهى البحث إلى أن القرينة السياقية تؤدي وظيفة تتجاوز تعيين المعنى أو ترجيحه إلى الإسهام في تشكيل مسار الحوار وتنظيم العلاقة بين أطرافه؛ ومن ثم فإن دراسة الدلالة في الحوار القرآني تقتضي النظر إلى القرائن بوصفها عناصر متفاعلة داخل بنية واحدة، تتحدد فاعليتها بما تنشئه من علاقات داخل السياق، لا بما قد تحمله منفردة من دلالة.

المصادر:

القرآن الكريم

- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده. (2000م). *المحكم والمحيط الأعظم* (المجلد الأول). (عبد الحميد هندواي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو الحسين أحمد ابن فارس. (1972م). *معجم مقاييس اللغة* (المجلد الثانية). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده.
- أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد. (1987م). *جمهرة اللغة* (المجلد الأول). (رمزي منير بعلبكي، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي. (د.ت). *كتاب العين*. (د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، المحررون) دار ومكتبة الهلال.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987م). *الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد الرابعة). (أحمد عبد الغفور عطار، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.
- إسماعيل مغمولي. (2022). *الدلالة السياقية للنص القرآني*. مجلة إشكالات في اللغة والأدب.
- أسية مرهون، و أ.د. عز الدين عماري. (2023م). أثر السياق غير اللغوي في تأويل الفعل الكلامي. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب.
- عمر تمام حسن. (2006م). *اللغة العربية معناها ومبناها*. عالم الكتب.
- كاظم حسين علي ثاني، و أ.م.د. وسام مجيد جابر البكري. (حزيران، 2025). القرائن الدلالية اللفظية والمعنوية في فهم النص القرآني في التحرير والتتوير لابن عاشور. مجلة آداب المستنصرية.
- م.د. محمد علي عبد الله العنبيكي. (أيلول، 2023). أثر السياق في تعدد المعنى الوظيفي لصيغ الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف واحد في القرآن الكريم. مجلة آداب المستنصرية.
- محمد بن أحمد الأزهرى. (2001م). *تهذيب اللغة* (المجلد الأول). (محمد عوض مرعب، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث.
- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. (2001م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
- محمود السعران. (1997م). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- نخبة من اللغويين مجمع اللغة العربية. (1972م). *المعجم الوسيط* (المجلد الثانية). القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- نشوان عبده خالد، و عبد الرحمن عبده محمد الأنوني. (السادس، 2024م). مزايا الدلالة السياقية وحجيتها وأثرها في فهم الخطاب القرآني. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية.

References:

- Al-Qur'an al-Karim.
- Al-Anbaki, Muhammad Ali Abdullah. (2023). *The Effect of Context on the Multiplicity of Functional Meaning of Triliteral Verb Forms Augmented by One Letter in the Holy Qur'an*. *Mustansiriyah Journal of Arts*.
- Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. (2001). *Tahdhib al-Lughah* [Refinement of the Language]. M. A. Mur'ib (Ed.). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad. (n.d.). *Kitab al-'Ayn* [The Book of al-'Ayn]. M. al-Makhzumi & I. al-Samarra'i (Eds.). Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Al-Jawhari, Isma'il ibn Hammad. (1987). *Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyyah* [Al-Sihah: The Crown of Language and Correct Arabic]. A. 'Abd al-Ghafur 'Attar (Ed.). Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.
- Al-Sa'ran, Mahmud. (1997). *'Ilm al-Lughah: Muqaddimah lil-Qari' al-'Arabi* [Linguistics: An Introduction for the Arab Reader]. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.
- Al-Zabidi, Muhammad Murtada al-Husayni. (2001). *Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus* [The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary]. Kuwait: Ministry of Guidance and Information; National Council for Culture, Arts and Letters.
- Hassan, Tammam. (2006). *Al-Lughah al-'Arabiyyah: Ma'naha wa Mabnaha* [The Arabic Language: Its Meaning and Structure]. 'Alam al-Kutub.
- Ibn Durayd, Muhammad ibn al-Hasan. (1987). *Jamharat al-Lughah* [The Compendium of the Arabic Language]. R. M. Ba'albaki (Ed.). Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.
- Ibn Faris, Ahmad ibn Faris. (1972). *Mu'jam Maqayis al-Lughah* [Dictionary of the Standards of Language]. 'A. S. M. Harun (Ed.). Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi.
- Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. (1414 AH). *Lisan al-'Arab* [The Tongue of the Arabs]. Beirut: Dar Sadir.
- Ibn Sidah, 'Ali ibn Isma'il. (2000). *Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam* [The Precise and Comprehensive Lexicon]. 'A. H. Hindawi (Ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Khalid, Nashwan Abduh, & Al-Udhani, Abd al-Rahman Abduh Muhammad. (2024). *Advantages of Contextual Semantics, Its Authority, and Its Impact on Understanding Qur'anic Discourse*. *Journal of Linguistic and Literary Studies*.
- Magmouli, Ismail. (2022). *The Contextual Semantic of the Qur'anic Text*. *Ishkalat Journal of Language and Literature*.
- Marhoun, Assia, & Ammari, Izz al-Din. (2023). *The Effect of Non-Linguistic Context on the Interpretation of the Speech Act*. *Al-'Umdah Journal of Linguistics and Discourse Analysis*.
- Thani, Kazem Hussein Ali, & Albakry, Wisam M. J. (2025). *Verbal and Contextual Semantic Clues in Understanding the Quranic Text According to Ibn Ashour*. *Mustansiriyah Journal of Arts*.
- The Arabic Language Academy. (1972). *Al-Mu'jam al-Wasit* [The Intermediate Dictionary]. Cairo: Arabic Language Academy.